الابتكار والإبداع في منهج التأليف عند الحافظ المِزّي
من خلال كتابه "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"

د. عمر بن إبراهيم سيف

أستاذ الحديث، كلية الحديث الشريف، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)

omrsaif@gmail.com

ملخَّص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان جهود العلماء المتقدمين في ابتكار مناهج جديدة في التأليف والترتيب في سبيل خدمة سنة النبي ρ ونشرها؛ حيث يُبرز جوانب الإبداع والابتكار في منهج التأليف عند أحد أولئك العلماء الكبار، وهو: الحافظ جمال الدين المزي في تأليف كتب حديثية متخصصة تتسم بالجدة والابتكار في منهجها وطريقة تصنيفها وترتيبها. وقد اخترتُ كتاباً من كتبه لإبراز بعض معالم الجدة والابتكار فيه، وهو كتابه: "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" وطريقة ترتيبه، وذكره لأطراف الأحاديث، وإبداعه في ترتيب الأحاديث تحت المسانيد، وفي تخريج الأحاديث وإيراد الأسانيد في سياق مختصر موحَّد.

الكلمات المفتاحية: الابتكار. الإبداع. المنهج. المزي. تحفة الأشراف.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد تميز المحدثون رحمهم الله في طرائق تأليفهم ومناهج تصنيفهم وترتيبهم لكتبهم حتى إن المتأمل في تلك الطرائق يستطيع أن يستنبط منها مناهج بحثية تصلح لتطبيقها في هذه العصور بل يمكن أن يقال إنها نواة لكثير من المناهج المطبقة في عصرنا الحاضر.

وكان من أولئك الأئمة الحفاظ الذين برز هذا الجانب جليا في كتبهم: الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي (ت٧٤٢هـ)، ولعل خير مثال على ذلك كتابه "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، الذي خدم به سنة المصطفى ρ، وسهل الطريق ومهده للراغبين في الوصول إلى الأحاديث النبوية في أمهات الكتب الحديثية.

لذا قصدت في هذا البحث إلى الإشارة إلى جوانب من الابتكار والإبداع في منهج الإمام المزي رحمه الله في منهجية التأليف، وذلك بشكل مختصر بما يتناسب مع طبيعة البحوث المقدمة للمؤتمرات وشروطها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية الموضوع في عدة نقاط كانت سببا لاختياره:

١) الحاجة إلى إبراز جوانب الإبداع والابتكار في مناهج البحث والتأليف لدى علماء الحديث، وخير مثال على ذلك الحافظ المزي في كتابه "تحفة الأشراف".

٢) مكانة الحافظ المزي ودقته في العمل الموسوعي وشخصيته المتميزة التي ظهرت جليّة في منهجه في تأليف كتبه وترتيبها وفق قواعد مبتكرة.

الدراسات السابقة:

تطرقت عدد من الدراسات لبعض الجوانب المتعلقة بمنهج المزي في التأليف إجمالا، إلا أن هذه الورقة ركزت على جانب مهم يتعلق بإبراز جانب الإبداع والابتكار في كتاب "تحفة الأشراف"، وأضافت ما يتعلق بأثر طريقة المزي فيمن جاء بعده ممن سار على نهج الكتاب، أو حقّق الكتاب، كما أن طريقته كانت نواة لخدمة الكتاب تقنيا كما سيأتي خلال البحث، ومن تلك الدراسات المتعلقة بتحفة الأشراف:

١) الحافظ المزي والتخريج في كتابه تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: تأليف: د. محمد عبدالرحمن طوالبه، مطبوع في دار عمار، عمان–الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢) منهج الإمام المزي في كتابه تحفة الأشراف: تأليف: اليسع محمد الحسن، بحث منشور بمجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، العدد ٨ المجلد ٩، السودان، أكتوبر ٢٠٠٣

٣) جهود الحافظ المزي في خدمة السنة النبوية: تأليف: عمار أحمد الحريري، بحث منشور في مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، العدد ٩ المجلد١٠، ٢٠١٢م.

٤) منهج المزي في التعليل في كتابه تحفة الأشراف: تأليف: رافع السعدون، رسالة ماجستير بجامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن–عمان، ٢٠١٣م.

خطة البحث:

تمهيد: في الإبداع والابتكار في مناهج البحث والتأليف عند المحدثين.

المبحث الأول: نبذة عن الحافظ المزي وعن كتابه تحفة الأشراف:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للحافظ المزي.

المطلب الثاني: تعريف مختصر بكتابه تحفة الأشراف.

المبحث الثاني: من مظاهر الابتكار والإبداع في منهج التأليف عند الحافظ المزي في كتابه تحفة الأشراف.

المبحث الثالث: أثر إبداع المزي –في طريقة التصنيف– في إبداع من جاء بعده ممن خدم الكتاب أو سار على طريقته.

الخاتمة.

المنهج المتبع في البحث:

هو المنهج الوصفي لمنهج المزي في كتابه "تحفة الأشراف".

المبحث التمهيدي: في الإبداع والابتكار في مناهج البحث والتأليف عند المحدثين:

فإن المتأمل في كتب السنة النبوية يدرك أن ديدن المحدثين –على مر العصور– هو التجديد والابتكار في مناهج التصنيف والتأليف، في سبيل إيجاد وسائل إبداعية تخدم سنة النبي ρ ، والشواهد على ذلك كثيرة ومستفيضة، فالابتكار واضح –مثلا– في منهج البخاري في تأليف صحيحه وتقسيمه وتبويبه، وهو جليٌّ في منهج ابن الصلاح في تقسيم علوم الحديث إلى أنواع، وظاهر في تأليف الحافظ ابن حجر كتابه "نخبة الفكر".

وقد بدأ بشكل تطبيقي استعمال العلماء والمحدثين لمناهج البحث والكتابة العلمية في وقت مبكر وشاعت هذه المناهج عندهم، وامتدادا لتلك التطبيقات العملية نظروا لها وسنوا لها قوانين تحكمها ووضعوا لها قواعد تنظمها، حتى إنها أخذت نصيبا كبيرا من مسائل علوم الحديث في أوائل المؤلفات فيه.

فعقد لها ابن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) عدة فصول في كتابه "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" ذكر فيها أمورا عديدة، منها:

١) أمور تتعلق بالأمانة العلمية في النقل والتوثيق.
٢) وأمور تتعلق بالمقابلة والمراجعة وأهميتها في القيمة العلمية للكتاب، وأثرها في اعتماده وجواز الرواية منه أو عدمها.
٣) واصطلاحات ورموز يستدل بها على مقابلة الكتاب، وما ينبغي عمله عند الشك أو اختلاف الروايات.
٤) وما ينبغي على الراوي والكاتب من تحرٍ للأمانة العلمية؛ وتحرٍّ للبيان الكامل؛ فعند شكِّه يبين ذلك بتصريح أو بكتابة رمز على المكتوب يدل على شكه فيه حتى يفتح لغيره مجال النظر والترجيح عند الاختلاف، إلى غير ذلك من الأمور التي ستتجلى في هذا البحث الموجز.

وتهدف "مناهج البحث" إلى وضع قواعد للوصول إلى الحقيقة، حيث يعرّف الباحثون المعاصرون مصطلح "مناهج البحث" بأنها الطرائق المؤدية إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته؛ حتى تصل إلى نتيجة معلومة. (١)

وهذه هي غاية "علوم الحديث"، فإنها تهدف إلى تمييز الصحيح من السقيم من حديث النبي ρ، ولهذا قالوا في تعريف "علوم الحديث" بأنه علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد(٢)، وبناء على اتحاد الغاية فالوسائل والطرق الموصلة إلى هذا الهدف كانت متقاربة إلى حد كبير.

---

(١) انظر: دويدي، رجاء وحيد. البحث العلمي وأساسياته النظرية وممارسته العملية. (بيروت: دار الفكر المعاصر. دمشق: دار الفكر. ط١. ١٤٢١هـ) ص١٢٩.

(٢) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. (الرياض: دار العاصمة.ط١. ١٤٢٤هـ) ج١، ص٣٨، وانظر: القاري، نور الدين علي الملا الهروي. شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر. تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، (بيروت: دار الأرقم. ١٩٩٩م) ص١٥٥

eISBN 978-967-2122-81-4

وعليه فالتجديد والابتكار في خدمة سنة النبي ρ هو طريقة السلف التي ينبغي أن يسير عليها طلاب العلم في وقتنا الحاضر.

وأعني بذلك كافة أنواع الابتكار، ولعل من أبرزها في وقتنا الحاضر الابتكارات المتعلقة بخدمة سنة النبي ρ من خلال التقنية، ولذلك شواهد كثيرة منها:

١) برنامج جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز للسنة النبوية.

٢) وبرنامج إتقان الحرفة بإتقان التحفة: والذي اعتنى بكتاب "تحفة الأشراف" للحافظ المزي رحمه الله، وسيأتي في هذا البحث مزيد بيان لهذه العناية بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثاني: نبذة عن الحافظ المزي وعن كتابه تحفة الأشراف:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للحافظ المزي. (٣)

اسمه ونسبه:

يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي، جمال الدين أبو الحجاج المزي.

مولده:

كان مولده في اليوم العاشر من ربيع الآخر سنة ٦٥٤هـ بظاهر حلب.

نشأته:

نشأ بالمزة، وحفظ القرآن، وتفقه قليلا ثم أقبل على الحديث، ومهر في اللغة والتصريف، وكانت أسرته أسرة علم وفضل؛ فوالده كان عالما مشهودا له بالصلاح.

ذكاء المزي وإتقانه وتمام ضبطه:

إن المتأمل في الأوصاف التي وُصف بها المزي؛ يدرك الموهبة العظيمة التي وهبها الله له، والتي كانت سببا في إبداعه وابتكاره لهذا العمل الموسوعي "تحفة الأشراف"؛ قال ابن كثير: "وقد كان شيخنا المزي من أبعد الناس عن هذا المقام –يعني التصحيف–، ومن أحسن الناس أداء للإسناد والمتن، بل لم يكن على وجه الأرض فيما يعلم مثله في هذا الشأن أيضا، وكان يقول –إذا تغرب عليه أحد برواية مما يذكره بعض شراح الحديث على خلاف المشهور عنده–: هذا من التصحيف الذي لم يقف صاحبه إلا على مجرد الصحف والأخذ منها" (٤).

---

(٣) انظر ترجمته في: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تذكرة الحفاظ. (بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ج٤، ص١٩٣، والسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط٢. ١٤١٣هـ) ج١٠، ص٣٩٦، وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية ط٢. ١٣٩٢هـ) ج٤، ص٤٥٧.

(٤) انظر: الأبناسي، إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين أبو إسحاق ثم القاهري الشافعي. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح. تحقيق: صلاح فتحي هلل. (الرياض: مكتبة الرشد.ط١. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ج٢، ص٤٧٠، والسخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. تحقيق: علي حسين علي. (مصر: مكتبة السنة. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج٤، ص٦٥.

eISBN 978-967-2122-81-4

المطلب الثاني: تعريف مختصر بكتابه "تحفة الأشراف":

اسم الكتاب:

"تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف".

موضوع الكتاب:

هذا الكتاب من كتب الأطراف كما هو ظاهر من عنوانه، حيث اعتنى بأطراف أحاديث كتب معينة، وقد قدم المزي لكتابه بمقدمة، ومما ذكره فيها الكتب التي اعتنى "تحفة الأشراف" بأطراف أحاديثها حيث قال: "فإني عزمت على أن أجمع في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى أطراف الكتب الستة، التي هي عمدة أهل الإسلام، وعليها مدار عامة الأحكام وهي:

١) صحيح محمد بن إسماعيل البخاري.
٢) وصحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري.
٣) وسنن أبي داود السجستاني.
٤) وجامع أبي عيسى الترمذي.
٥) سنن أبي عبد الرحمَن النسائي.
٦) وسنن أبي عبد الله بن ماجة القزويني.

وما يجري مجراها من:

١) مقدمة كتاب مسلم.
٢) وكتاب المراسيل لأبي داود.
٣) وكتاب العلل للترمذي، وهو الذي في آخر كتاب "الجامع" له.
٤) وكتاب الشمائل له.
٥) وكتاب عمل اليوم والليلة للنسائي [٥].

مدة تأليف الكتاب:

ذكر المزي في مقدمة كتابه أنه بدأ في تأليفه يوم عاشوراء سنة ست وتسعين وستمائة، وأنه انتهى منه في الثالث من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة [٦].

أي أنه استغرقت مدة تأليفه ٢٦ سنة، والمتأمل في ضخامة العمل يدرك أن هذه الفترة –التي يُظن أنها طويلة– إنما هي قصيرة نظرا لضخامة العمل الفردي العظيم الذي قام به هذا الحافظ الجهبذ مع الأخذ في الاعتبار

(٥) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. تحقيق: عبد الصمد شرف الدين. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٢. ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) ج١، ص٣.

(٦) تحفة الأشراف (تحقيق: عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص٦.

eISBN 978-967-2122-81-4

محدودية الإمكانات وصعوبة جمع النسخ، وجرد الأحاديث وفرزها مقارنة بمحركات البحث المتوفرة في وقتنا الحاضر، إضافة إلى أنه عمل مؤسسات كبيرة قام به فرد واحد.

المبحث الثاني: من مظاهر الابتكار والإبداع في منهج التأليف عند الحافظ المزي في كتابه "تحفة الأشراف":

أولاً:الإبداع في تأليف ما تمس إليه الحاجة مما لم يُسبق إليه:

ذكر المحدثون في تنبيهاتهم لمن أراد التأليف؛ فذكروا أنه ينبغي أن يؤلف "فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه" (٧)، كما تشير كتب مناهج البحث إلى أن أحد الأسس التي يقوم عليها اختيار عنوان البحث تحقيق نتيجة "تثري العلم، وتكشف حقائقه، وتفيد المجتمع" (٨).

وقد برز هذا الجانب بجلاء في تأليف المزي لكتابه تحفة الأشراف؛ والدليل على ذلك أنه أصبح العمدة لمن جاء بعده، وذكر الدكتور بشار عواد معروف أن المزي ألف أعظم كتابين عرفهما تاريخ الإسلام منذ قيامه إلى يوم الناس هذا، أولهما: "تهذيب الكمال"، وثانيهما "تحفة الأشراف"، الذي يعد أفضل كتاب في أطراف الكتب الستة وبعض لواحقها، سواء أكان ذلك في دقة نصوصه أم في دقة عرضه، ونهج فيه منهجا ييسر على طالب العلم الوقوف على طِلْبته بأيسر طريق وأخصر وقت" (٩).

وقد نبّه علماء الحديث –رحمهم الله– على ما ينبغي على المصنف مراعاته عند التأليف؛ فذكروا من ذلك أن يكون "اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر" (١٠)، وهذا ما اصطُلح عليه في كتب مناهج البحث الحديثة: بـ"الجدة والابتكار" (١١).

فكان الغرض الأساسي من وضعه لهذا الكتاب هو جمع أحاديث الكتب الستة بطريق يسهّل على القارئ معرفة أسانيدها المختلفة مجتمعة في موضع واحد، فكانت تلك الطريق أسهل الطرق المتصوَّرة للوصول إلى تلك الأحاديث، مع جمع أسانيدها المختلفة في موضع واحد (١٢).

---

(٧) تدريب الراوي ج٢، ص١٣٨، وقد ذكر ابن حزم سبعة مقاصد للتأليف، هذا أحدها. انظر: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. رسائل ابن حزم الأندلسي. تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط٢. ١٩٨٧م) ج٢، ص١٨٦

(٨) الربيعة، د.عبد العزيز بن عبد الرحمن. البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته، ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته. (الرياض: مكتبة العبيكان. ط٥. ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ج١، ص٣٢

(٩) انظر: المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. تحقيق: د. بشار عواد معروف. تونس: دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٩م) (مقدمة المحقق) ج١، ص٧

(١٠) تدريب الراوي ج٢، ص.١٣٨

(١١) انظر: العمري، د. أكرم ضياء. مناهج البحث وتحقيق التراث. (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ط١. ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) ص٣٦-٣٨، والجبوري، د.يحيى وهيب. منهج البحث وتحقيق التراث. (بيروت: دار الغرب الإسلامي.ط١. ١٩٩٣م) ص٣٠، والبحث العلمي للربيعة ج١، ص٣٢.

(١٢) انظر: مقدمة محقق تحفة الأشراف (عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص١٢.

eISBN 978-967-2122-81-4

ثانياً: الإبداع في فكرة التأليف الموسوعي:

فقد اتّسم الكتاب بالموسوعية، حيث حوى أمهات الكتب الحديث الشريف؛ وجاء انطلاقا من تلمس احتياج المسلمين إلى من يخدم أمهات الكتب الحديثية، ويدلهم على مواضعها في تلك الكتب، والذي يعد كل منها جامعا موسوعيا ضخما؛ من خلال مؤلف واحد؛ فيصح أن يوصف الكتاب بأنه: موسوعة علمية ضخمة تخدم عدة موسوعات علمية.

ثالثاً: الإبداع في الترتيب العام للكتاب:

لقد راعى المزي الترتيب المنطقي في إعداده للكتاب بمراعاة حيثيات كثيرة تسهل وصول قارئه إلى مراده؛ بأسرع طريق وأيسر سبيل؛ قال محقق "تحفة الأشراف" الشيخ عبد الصمد شرف الدين –في مقدمة تحقيقه–: "وقد جاء مؤلف هذا السفر العظيم أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي –رحمه الله– من أعيان القرن الثامن؛ فجمع أحاديث (الكتب الستة) بأجمعها في تأليفه الفذ المسمَّى (تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف)، ورتبها ترتيبا علميا بديعا أخذ بقلوب أهل العلم والنهى" (١٣).

ويتجلّى ذلك في ترتيبه على مسانيد الصحابة وفق حروف المعجم، ومراعاة ما يسمى بالتسلسل الهرمي فيمن روى عنهم كما سيأتي تفصيله.

رابعاً: الإبداع في خدمة عمل من سبقه وتقويمه والبناء عليه دون هدم ولا تهميش لجهود السابقين؛ بل إصلاحه والزيادة عليه والثناء على جهود من سبق وشكر أهلها:

تقدم أن علماء الحديث ينبهون على ضرورة عناية من أراد التصنيف بالتصنيف فيما لم يسبق إليه، ولا شك أن هذا يتطلب من المتصدي للتأليف البحث عن وجود دراسات سابقة، والإشارة إليها في مقدمتها، مع ذكر محاسنها وما اعتراها من قصور، ومعرفة مدى استيعابها للموضوع، وما سيضيفه المصنف في تصنيفه، كما في تنبيهات كتب مناهج البحث(١٤).

ويتضح ذلك جليا في مقدمة المزي للتحفة حين قال: "ورتبته على نحو ترتيب أبي القاسم؛ فإنه أحسن الكل ترتيبا، وأضفت إلى ذلك بعض ما وقع لي من الزيادات التي أغفلوها، أو أغفلها بعضهم، أو لم يقع له من الأحاديث ومن الكلام عليها، وأصلحت ما عثرت عليه في ذلك من وهم أو غلط"(١٥).

---

(١٣) انظر: مقدمة محقق تحفة الأشراف (عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص١٢.

(١٤) انظر: أبو سليمان، د.عبد الوهاب إبراهيم. كتابة البحث العلمي –صياغة جديدة. (الرياض: مكتبة الرشد. ط٩. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). ص٦٠–٦١

(١٥) تحفة الأشراف (تحقيق: عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص٥.

eISBN 978-967-2122-81-4

وبين الدكتور بشار عواد في مقدمة تحقيقه للكتاب طريقة ترتيب المزي لكتابه، ثم قال: "وهذا التنظيم الدقيق؛ وإن كان الحافظ ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١هـ) قد ابتدعه، لكنه لم يكن بهذه الدقة التي أشرنا إليها، ولا بهذا الإتقان في سياقة المتون والأسانيد" (١٦).

خامساً: الإبداع في ترتيب أسماء الرواة عمن هو مكثر من الصحابة:

عند التأمل في طريقة ترتيب المزي للأطراف على المسانيد يدرك عبقرية هذا الحافظ الكبير، فترتيبه يدل على همة عالية وتركيز شديد وتنظيم غاية في الإحكام.

حيث رتب هذا العدد الكبير من الأحاديث على مسانيد الصحابة، فمن كان مقلاً جعل أحاديثه في سياق واحد، ومن كان مكثرا من الصحابة رتب أحاديثه على أسماء من روى عنه من التابعين، وكذا إذا كثرت الأحاديث عن التابعي، فإنه يقسم الأحاديث على أسماء من روى عن التابعي من أتباع التابعين، وكذا إن كثرت عن الأتباع قسمها على أسماء من روى عنهم، ملتزما الترتيب على حروف المعجم في كل ذلك.

ومثل هذا الترتيب لا يستطيع أن يقوم به إلا من وهبه الله عقلية موسوعية وإدراكا عاليا وقدرة فائقة على الجمع والتنظيم وفرز المعلومات وتصنيفها وفقا لضوابط غاية في الدقة والإحكام (١٧).

سادساً: الإبداع في ترتيب الأحاديث تحت المسانيد والأطراف:

ذكر المزي في مقدمته طرفا من منهجه، ولم يفصل كثيرا في طريقته فيما يتعلق بترتيب الأحاديث تحت المسانيد، ولا في ترتيب التخريج تحت كل حديث؛ ويُدرَك منهجه في ذلك من خلال التأمل في الكتاب، ووصف الدكتور محمد عبد الرحمن طوالبه في منهجه في ذلك فقال: "بعد أن قسّم المزي الأحاديث على أصحاب المسانيد والمراسيل المقلين من الرواية، وعلى أصحاب التراجم عن المكثرين على ذلك النسق الجميل المحكم، عمد إلى هذه الأحاديث تحت المسند الواحد، وتحت الترجمة الواحدة؛ فرتبها على طريقة مبتكرة لطيفة؛ تمثلت في تقديمه للأحاديث التي كثر عدد مخرجيها، على الأحاديث التي قل عددهم.

فما رواه الستة مقدم على ما رواه الخمسة، وهذا مقدم على ما رواه الأربعة، وهو مقدم على ما رواه الثلاثة، وهكذا مع مراعاة أولية أحاديث البخاري، ثم مسلم... وأخريات أحاديث ابن ماجه إذا انفرد كل واحد منهم بأحاديث.

كما أنه يراعي هذه الأولوية إذا اشتركوا في عدة أحاديث تحت الترجمة الواحدة، فيقدم ما رواه البخاري ومسلم على ما رواه البخاري والترمذي، وما رواه البخاري والترمذي، على ما رواه البخاري والنسائي حسب قوة هذه الكتب في التفضيل، وما رواه البخاري موصولا على ما رواه معلقا، وكذا ما روى الترمذي في السنن على ما رواه في الشمائل، وكذا ما رواه أبو داود في السنن على رواه في المراسيل، وهكذا" (١٨).

---

(١٦) مقدمة د. بشار عواد لتحقيقه تحفة الأشراف ج١، ص٧.

(١٧) وسيأتي في المبحث الثالث أمثلة لذلك.

(١٨) طوالبة، د. محمد عبدالرحمن. الحافظ المزي والتخريج في كتابه تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. (عمّان: دار عمان. ط١. ١٤١٨هـ) ص١٩٦.

eISBN 978-967-2122-81-4

سابعاً: الإبداع في سوق الأسانيد:

لقد كانت طريقة المزي في التخريج وسوق الأسانيد لبنة أولى لطرائق التخريج في وقتنا الحاضر، وجمع الأسانيد في سياق واحد إلى الملتقى، فيسوق الطرق إلى الملتقى ثم يقول: (ثلاثتهم)، أو (أربعتهم)، أو (عشرتهم) عن فلان، وكانت طريقته معينة بشكل كبير جدا لمن يريد الإحاطة بطرق الحديث، وذلك باختصار الأسانيد في سياق واحد يحافظ على تركيز القارئ ويبعد عنه التشعب وتشتت الذهن.

ومثال ذلك:

[خ م د س ق] حديث: شكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم: الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا. خ في الطهارة (٤) عن علي ابن عبد الله - و (٣٥: ٢) أبي الوليد - فرقهما - وفي البيوع (٥: ١) عن أبي نعيم - م في الطهارة (٦٠: ١) عن أبي بكر بن أبي شيبة - وزهير بن حرب - وعمرو الناقد - د فيه (الطهارة ٦٨: ١) عن قتيبة - ومحمد بن أحمد بن أبي خلف - س فيه (الطهارة ١١٥) عن قتيبة - ومحمد بن منصور - ق فيه (الطهارة ٧٤) عن محمد بن الصباح - **عشرتهم** عن سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وعباد بن تميم، كلاهما عن عمه عبد الله بن زيد به. قال خ عقب حديث أبي نعيم: وقال ابن أبي حفصة - يعني عن الزهري [١٩].

المبحث الثالث: أثر إبداع المزي – في طريقة التصنيف – في إبداع من جاء بعده ممن خدم الكتاب أو سار على طريقته:

المطلب الأول: نموذج لأثر إبداع المزي في طريقة التصنيف في تصنيفات من جاء بعده من المصنفين:

سأذكر في هذا المقام مثالا واحدا يدل على امتداد أثره واتباع طريقته في التصنيف، وهو صنيع الحافظ ابن حجر في كتابه "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة"، حيث صرح ابن حجر بذلك في مقدمته حين تحدث عن طريقة جمعه لأطراف الأحاديث: " فجمعت أطرافها على طريق الحافظ أبي الحجاج المزي وترتيبه، إلا أني أسوق ألفاظ الصيغ في الإسناد غالبا لتظهر فائدة ما يصرح به المدلس، ثم إن كان حديث التابعي كبيرا رتبته على أسماء الرواة عنه غالبا، وكذا الصحابي المتوسط".

المطلب الثاني: نموذج لأثر إبداع المزي – في طريقة التصنيف – في إبداع المحقق في خدمة الكتاب وطباعته وحسن إخراجه:

ساعدت طريقة المزي في كتابه محقق الكتاب على ابتكار أفكار جديدة، وإضافة خدمات مميزة للكتاب المحقق، رفعت من قيمته وأثّرت في الإخراج الفني له.

(١٩) تحفة الأشراف (تحقيق: عبدالصمد شرف الدين) ج٤، ص٣٦٦.

eISBN 978-967-2122-81-4

ومن ذلك إبداع محققه الشيخ عبد الصمد شرف الدين في قيامه بإضافات قيمة زادت من قيمته العلمية والتنظيمية، حيث ذكر المحقق قصة خدمته للكتاب بعد أن بدأ طبع الأجزاء الأولى منه؛ وأسوق قصته بتمامها حيث قال: "عثرت أثناء دراستي على هذا الكتاب، وذلك بفضل أستاذنا الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة؛ من أفضل علماء العصر، ومن أرشد تلاميذه السيد محمد رشيد رضا.

وجدت عنده نسخة خطية مصورة من الكتاب، كان يراجعها أثناء الدرس في تصحيح ما أشكل من أسانيد الأحاديث من متون الأمهات المطبوعة أمامنا، ووجدته قد سبق إلى بعثه إلى مصر ليُطبع، وفعلا قد طُبعت منه بعض الكراريس –إلى حديث رقم ٤٤٧– بمطبعة الإمام بعابدين. فعرضت عليهم نموذجا مثاليا لطبع هذا الكتاب الفنّي بإضافة أرقام الأبواب من كل كتاب من كتب الأمهات؛ فأعجبوا به حتى أنهم حجزوا الطباعة المصرية رجاء منهم أني أقوم بتصحيحه وطبعه..." (٢٠).

فقام بذلك خير قيام، فوضع أرقام للمسانيد والأحاديث، وأضاف فهارس نافعة تدل على الصحابة، ثم لمن روى عنهم من التابعين مع الرمز قبل اسم التابعي بنجمة، ثم لمن روى عنهم من أتباع التابعين بنجمتين، ثم لمن روى عنهم بثلاث نجوم؛ وذلك في المكثرين.

وهذه صور من داخل الكتاب تدل على صنيع المحقق:

(٢٠) انظر: مقدمة محقق تحفة الأشراف (عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص١١–١٢.

eISBN 978-967-2122-81-4

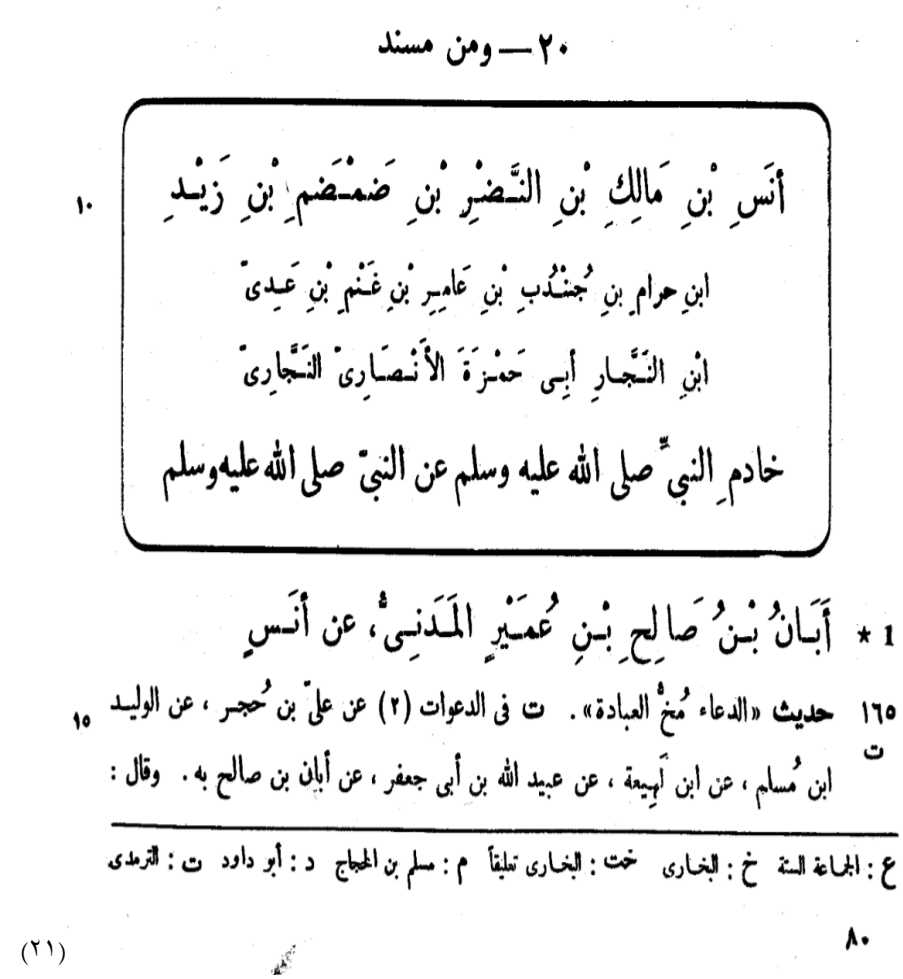

٢٠ — ومن مسند

أَنَس بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمِ بْنِ زَيْدِ
ابْنِ حَرَامِ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيّ
ابْنِ النَّجَّارِ أَبِي حَمْزَةَ الأَنْصَارِيّ النَّجَّارِيّ
خَادِمِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عن النبيّ صلى الله عليه وسلم

1 * أَبَانُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عُمَيْرٍ المَدَنِيُّ، عن أَنَسٍ

١٦٥ حديث «الدعاء مُخُّ العبادة». ت فى الدعوات (٢) عن علىّ بن حُجر، عن الوليد
ت ابن مُسلم، عن ابن لَهِيعة، عن عبيد الله بن أبى جعفر، عن أبان بن صالح به. وقال:

ع: الجماعة السنة خ: البخارى خت: البخارى تعليقاً م: مسلم بن الحجاج د: أبو داود ت: الترمذى

٨٠

(٢١)

فوضع المحقق نجمة واحدة على التابعي "أبان بن صالح" الراوي عن أنس τ، مع وضع رقم الحديث "٢" في كتاب الدعوات عند الترمذي.

وهذا مثال لمن كثرت روايتهم في عدة طبقات،، في مثل ***إبراهيم بن سعد الزهري عن **محمد مسلم بن شهاب الزهري عن *سالم عبدالله بن عمر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

(٢١) تحفة الأشراف (تحقيق: عبدالصمد شرف الدين) ج١، ص٨٠.

eISBN 978-967-2122-81-4

٣٠ ** محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر

١ *** إبراهيم بن سعد الزهرى المدني ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر

٦٧٩٨ حديث « مفاتح الغيب خمس : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ـ ٣١ : ٢٤ ـ﴾ خس ... الحديث . خ فى التفسير (٦ : ١) عن عبد العزيز بن عبد الله الأويسى ـ س فى النعوت (الكبرى ٤٨) عن عبيد الله بن فضالة بن إبراهيم ، عن سليمان بن داود ـ كلاهما عنه به .

٦٧٩٩ حديث « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس » . خ فى الصلاة (١٢٧ : ٢) عن عبد العزيز بن عبد الله ، عنه به .

٦٨٠٠ حديث : « إن الله [illegible] » . خ

(٢٢)

إضافةً إلى قيام المحقق بوضع هذه النجوم في فهارس الكتاب، وأضاف إليها عدد المرويات أمام كل اسم كما يظهر في مصورة الفهارس التالية:

ف ٣٠٦ ـــ عبد الله بن عمر ٣٠٦

	صفحة	أحاديثه
٣١٨ ٣٠٩ ـــ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ١٩٧٩		
٣١٨ ٥	آدم بن على البكرى	١
٣١٨ ٥	أسلم ـــ مولى عمر بن الخطاب	٤
٣٢٠ ٥	إسماعيل بن عبد الرحمن القرشى	١
٣٢٠ ٥	الأغر المزنى	١
٣٢٠ ٥	أمية بن عبد الله الأموى	١
٣٢١ ٥	أنس بن سيرين	٢
٣٢٢ ٥	بسر بن سعيد المدنى	١
٣٢٢ ٥	بشر بن حرب الندبى	١
٣٢٢ ٥	بشر بن عاتذ وبشر بن المحتفز	١
٣٢٣ ٥	بكر بن عبد الله المزنى	٣
٣٢٣ ٥	بكر بن عمرو الناجى	٣
٣٢٤ ٥	بلال بن عبد الله العدوى	١
٣٢٤ ٥	ثابت بن أسلم البنانى	١
٣٢٤ ٥	ثابت بن محمد العبدى	١

(٢٢) تحفة الأشراف (تحقيق: عبدالصمد شرف الدين) ج٥، ص٣٦٥.

eISBN 978-967-2122-81-4

إلى أن وصل إلى المرويات *سالم بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فابتدأ الرواة عنه بنجمتين كما في المصورة وكتب عدد سالم بهذا الطريق "٣٠٠":

٣٤٥	٥	زهرة بن معبد بن عبد الله ١
٣٤٥	٥	زياد بن جبير الثقفي ٢
٣٤٦	٥	زياد بن صبيح الحنفي ١
٣٤٧	٥	زياد بن عبد الرحمن القرشي ١
٣٤٧	٥	زيد بن أسلم أبو أسامة ١٦
٣٥٠	٥	زيد بن جبير الجشمي ٢
٣٥٠	٥	زيد بن عبد الله بن عمر ٢
٣٥١	٥	سالم بن أبي الجعد الغطفاني ١
٣٥١	٥	سالم بن عبد الله بن عمر ٣٠٠
٤٥١	٥٥	بكير بن موسى ١
٣٥١	٥٥	جابر بن يزيد الجعفي ١
٣٥٢	٥٥	جهم بن الجارود ١
٣٥٢	٥٥	الحارث بن عبد الرحمن العامري ١
٣٥٢	٥٥	حنظلة بن أبي سفيان القرشي ١٠
٣٥٤	٥٥	خالد بن أبي بكر بن عبيد الله ١
٣٥٤	٥٥	سالم بن أبي الجعد الغطفاني ١
٣٥٤	٥٥	صالح بن كيسان المدني ١
٣٥٤	٥٥	صالح بن محمد الليثي ١
٣٥٦	٥٥	عاصم بن عبيد الله ١
٣٥٦	٥٥	عبد الله بن زيد الجرمي ١
٣٥٧	٥٥	عبد الله بن العلاء الربعي ١
٣٥٧	٥٥	عبد الله بن يسار الأعرج ١
٣٥٨	٥٥	عبد العزيز بن أبي رواد الأزدي ١

eISBN 978-967-2122-81-4

إلى أن وصل إلى المرويات عن **محمد بن مسلم ابن شهاب، فابتدأ أسماء الرواة عنه بثلاث نجوم كما في المصورة التالية مع كتابة عدد أحاديث ابن شهاب بهذا الطريق "٢٢٣":

صفحة		أحاديث
٣٥٨	عبيد الله بن عمر بن حفص	٢
٣٥٩	عثمان بن عبد الملك المؤذن	٢
٣٥٩	عكرمة بن عمار اليمامى	١
٣٥٩	عمر بن حمزة بن عبد الله	٨
٣٦٠	عمر بن محمد بن زيد	●
٣٦٢	عمرو بن دينار البصرى	١
٣٦٢	عمرو بن دينار المكى	١
٣٦٢	الفضل بن عطية المروزى	٢
٣٦٣	فضيل بن غزوان الضبي	١
٣٦٣	القاسم بن عبيد الله بن عبد الله	١
٣٦٣	قدامة بن موسى بن عمر	١
٣٦٤	كثير بن زيد الأسلمى	١
٣٦٤	كثير بن فاروند	١
٣٦٤	محمد بن أبى حرملة	١
٣٦٤	محمد بن عبد الرحمن	١
٣٦٥	محمد بن مسلم ابن شهاب	٢٢٣
٣٦٥	إبراهيم بن سعد الزهرى	٧
٣٦٦	إبراهيم بن نشيط الوعلانى	١
٣٦٦	إسحاق بن راشد الجزرى	١
٣٦٦	إسحاق بن يحيى الكلبي	١
٣٦٦	بكر بن وائل الكوفى	١
٣٦٦	جعفر بن برقان الجزرى	٢
٣٦٧	زمعة بن صالح الجندى	١
٣٦٧	زياد بن سعد الخراسانى	١

فيتضح بهذا: أن الإبداع في الترتيب والتنظيم الدقيق الذي اتبعه المزي كان سببا في انطلاق المحقق في إبداع جديد مع السير بتناسق وتناغم مع الترتيب الأصلي للكتاب.

المطلب الثالث: الإبداع في منهجية التصنيف كان بمثابة توطئة لخدمته تقنيا:

ذاك الإبداع – في منهجية التأليف والتنظيم والترتيب – كان سببا في ولادة إبداع جديد في وقتنا الحاضر، وهو البرنامج الحاسوبي: "إتقان الحرفة بإكمال التحفة" ويصفه معدُّوه بأنه المُخرَج الإلكتروني لكتاب "تحفة الإشراف"، قامت بتطوير البرنامج الشركة العربية لتقنية المعلومات.

ومما يتميز به البرنامج ربطه الأطراف والأحاديث بمواطنها في الكتب للاطلاع عليها كاملة، وكذا ربطه بنسخة ابن المهندس الخطية، ومن فوائد ذلك التأكد من النص من ناحية إضافة إلى ما تميزت به النسخة من إظهار منهج المؤلف في تمييز أول مخرِّجي الحديث بالحمرة، والذي استعيض عنه في المطبوع بكتابته بحرف بارز، وهذه صورة البرنامج:

eISBN 978-967-2122-81-4

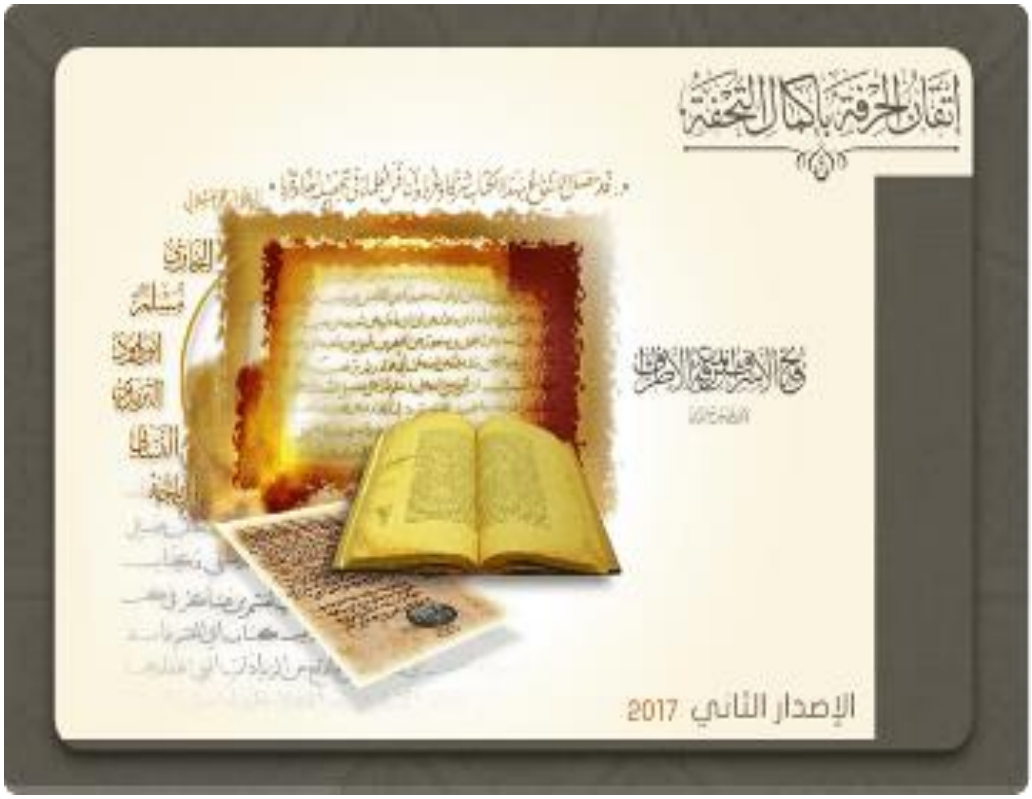

الخاتمة:

أحمد الله تعالى أن يسَّر لي إتمام هذا البحث، ومن أهم النتائج التي يمكن أن تُذكر في خاتمته ما يلي:

(أ) النتائج:

١) أهمية إظهار جوانب الابتكار في مناهج التأليف لدى المحدثين وغيرهم من علماء المسلمين، لما لذلك من أثر كبير في نسبة الفضل لأهله ومن باب التوثيق التاريخي لتلك المناهج.

٢) الفطنة والذكاء والهمة العالية التي اتسم بها هذا الحافظ الجهبذ في قيامه بمثل هذا العمل الضخم والذي تصغر أمامه أعمال المؤسسات والمجموعات في وقتنا الحاضر.

٣) التنظيم الدقيق لمعلومات الكتاب وإيرادها بتسلسل منطقي يسهل على القارئ إدراكه.

٤) أن الإبداع في منهجية التأليف قد يكون سببا في تهيئة المؤلَّف لأن يُخدم تقنيا في أوقات لاحقة لوقت التأليف، أو ربما بعد عصور من تأليفه، كما حصل في خدمة هذا الكتاب ببرنامج: "إتقان الحرفة بإكمال التحفة".

(ب) التوصيات:

ومن أهم التوصيات التي أرى مناسبة ذكرها في نهاية هذا البحث:

١) أهمية العناية بإبراز جهود علماء الحديث في مناهج البحث والتأليف وتجلية جوانب الإبداع والابتكار لديهم.

eISBN 978-967-2122-81-4

٢) ضرورة لفت أنظار طلاب الدراسات العليا إلى الكتابة في الموضوعات المتعلقة بالإبداع والابتكار في منهج إمام معين في كتاب أو مجموع كتبه.

٣) أهمية الإفادة من تلك المناهج في تطوير مناهج البحث في هذا العصر، أو ربط ما هو موجود منها بمناهج التأليف لدى العلماء المتقدمين لمعرفة المتقدم من المتأخر في التنظير لهذه المناهج أو تطبيقها عمليا.

وفي الختام، أسأل الله أن أكون قد وُفقت في إعداد هذا البحث، وأن يغفر لي ما كان من زلل أو خطأ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد النبي الأمين؛ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

—

فهرس المصادر والمراجع:

١) الأبناسي، إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين أبو إسحاق ثم القاهري الشافعي. **الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح**. تحقيق: صلاح فتحي هلل.الرياض: مكتبة الرشد.ط١. ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢) أبو سليمان، د.عبد الوهاب إبراهيم. **كتابة البحث العلمي –صياغة جديدة**. الرياض: مكتبةالرشد. ط٩. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٣) الجبوري، د.يحي وهيب. **منهج البحث وتحقيق التراث**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.ط١. ١٩٩٣م.

٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**.حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية ط٢. ١٣٩٢هـ.

٥) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. **رسائل ابن حزم الأندلسي**. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط٢. ١٩٨٧م

٦) دويدي، رجاء وحيد. **البحث العلمي وأساسياته النظرية وممارسته العملية**. بيروت: دار الفكر المعاصر. دمشق: دار الفكر. الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

٧) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨) الربيعة، د.عبد العزيز بن عبد الرحمن. **البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته، ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته**. الرياض: مكتبة العبيكان. ط٥. ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٩) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط٢. ١٤١٣هـ.

١٠) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن. **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**. تحقيق: علي حسين علي. مصر: مكتبة السنة. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، الرياض: دار العاصمة.ط١. ١٤٢٤هـ.

١٢) طوالبة، د. محمد عبدالرحمن. **الحافظ المزي والتخريج في كتابه تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**. عمّان: دار عمان. ط١. ١٤١٨هـ.

١٣) العمري، د. أكرم ضياء. **مناهج البحث وتحقيق التراث**. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ط١. ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

١٤) القاري، نور الدين علي الملا الهروي. **شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**. تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، بيروت: دار الأرقم. ١٩٩٩م.

١٥) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**. تحقيق: عبد الصمد شرف الدين. بيروت: المكتب الإسلامي. ط٢. ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

eISBN 978-967-2122-81-4

١٦) المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**. تحقيق: د. بشار عواد معروف. تونس: دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٩م.

eISBN 978-967-2122-81-4